الحرب(٨٨) . وكان اهتمام كتشنر بالشرق قد بدأ منذ عمله مع صندوق الاكتشاف الفلسطيني حين تولى مع الليفتننت كوندر عملية مسح معظم فلسطين بين ١٨٧٢ ـ ١٨٧٨ ، كما شارك في عمليات مسح في منطقة شرق الاردن وفي شبه جزيرة سيناء حتى وادي العربة . وأتم العمل الاخير بعد ٤٠ سنة لحساب الصندوق وبتخطيط من كتشنر ، مهندس بريطاني آخر لعب دورا هاما في مسرح العمليات الشرقية في الحرب الاولى هو الكابتن نيوكومب ١٩١٣ ، وعمل معه عالما آثار من المتحف البريطاني هما لورنس وودلي قبل اشهر قليلة من اعلان الحرب(٨٩) . ومع كل هذه الاعتبارات فقد ظلت السياسة البريطانية في الشرق تحافظ على تماسك الدولة العثمانية نظرا لما يحيط تجزؤ هذه الدولة من مصاعب وأخطار بسبب تنافس الدول الكبرى .

مع دخول تركيا في الحرب واتخاذ فلسطين كقاعدة للهجوم حدث تعديل كبير لسياسة بريطانية الشرقية شرحها هربرت صموئيل في كتابه مذكراتي عام ١٩٤٥ « .. انه لو قدر لفلسطين ان تحظى بمصير جديد فان بريطانية هي صاحبة الشأن الاول بما لها من مصالح ستراتيجية هامة في المنطقة ... وعلى حكومتنا أن تولي عنايتها الجدية موضوع من سيخلف الاتراك في السيطرة على فلسطين البلد الذي يتاخم قناة السويس»(٩٠) . الا ان انجلترا في بداية الحرب لم تكن مهيأة لاحتلال الجزء الجنوبي من فلسطين والدفاع عن مصر من جهة حدودها فتخلت فترة عن القسم الاكبر من سيناء للقوات التركية وقنعت بصد الهجمات على القنال .

ويحاول جابوتنسكي في كتابه « تركية والحرب » الذي نشره بعد دخول تركية الحرب عام ١٩١٦ لاثارة اهتمام بريطانية بفلسطين ستراتيجيا من اجل كسب دعمها للقضية الصهيونية ان يبين دروس حملة سيناء حين ينقل رأي صحفي شهد معارك السويس في فبراير ١٩١٥ «انه يجب التمييز بين الدفاع عن مصر والدفاع عن القناة. فالاول اكثر أمنا ولكن ليس بسبب الصحراء . فالصحراء لم تمنع العدو من الاقتراب انما الذي حماها هو القناة التي هي حاجز حصين انما وسيلة دفاع فقط . ولكن القناة نفسها ثروة تجب حمايتها فهي السبب الوحيد الذي اختارت بريطانية من اجله الحفاظ على مصر . الا انها في هذه الحرب قد اعتبرت ببساطة كمخفر متقدم للقلعة المصرية . والقيادة البريطانية اختارت القناة كخط اول للدفاع بدلا من اقامته على حدود مصر بين العريش والعقبة ، لان المدافعين عن مصر لو لاقوا العدو في العريش ستكون الصحراء وراء ظهورهم ، في حين يكون وراء العدو بلاد مأهولة تزوده بالرجال والمؤن ، ويصل الى الاستنتاج الوحيد والمنطقي وهو ان الدفاع المناسب عن القناة لا يمكن ان يؤمن الا ان يوضع بين هذا الشريط الثمين من الماء واي عدو في المستقبل شريط من الارض يسمح لعمليات واسعة النطاق ويكون مزروعا ومأهولا وملائما لان يكون خلفية مناسبة لتجهيز الجيش بكل مستلزماته . وفلسطين بالنسبة للقناة تماما كما هي طنجة بالنسبة لجبل طارق »(٩١) .

تحققت بريطانية نتيجة للمراحل الاولى للصراع الخطر على مصر والقنال من عدو يحتل فلسطين ، وان الضرورة العسكرية تحتم مد حدود سيناء . ومع ان كل الدوائر المشتركة بالحرب كانت تهتم بمستقبل فلسطين كجزء من موضوع مستقبل الامبراطورية العثمانية في آسيا، الى جانب اهميتها لمصالح دول كثيرة(٩٢)، الا انه بالنسبة لبريطانية ـ المسؤولة عن أمن مصر ـ كان أمرا حيويا ان لا توضع دولة قوية بجوارها ، وتطورات السياسة البريطانية التالية دلت انها كانت تريد ان تستخلص فلسطين لنفسها . فالجزء الخاص بفلسطين من تقرير احدى لجان وزارة الخارجية البريطانية برئاسة موريس دوبوفزين (التي عينت ١٩١٥ لوضع صيغة سياسية حول مستقبل الممتلكات العثمانية في آسية) يظهر ان اللجنة قد أوصت بمعارضة طلب فرنسة بضم فلسطين الى المنطقة التي تدعيها وان يكون مصيرها موضوع مفاوضات خاصة تهم الدول المتحاربة والحيادية(٩٣) . وفي اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ وافقت بريطانية على وضع فلسطين تحت الاشراف الدولي